كتاب في كتاب

لمسات مُنيرة على " كلمات " مُضيئة !!

✍ أ. ماجد رسلان

أنِستُ بهذا العنوان كل الأنس ، بعد أن استهديت واسترشدت بقول الله عزَّ وجلَّ : { **هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا** ... } [يونس : ٥]

فالقمر يأخذ نوره من ضياء الشمس الذاتي فيعكسه على الأرض ، فهو مجرد مرآة عاكسة ، وكذلك مقالي هذا جاء على استحياء يعكس ما جاء في كتاب " **كلمات** " فأقول : بعد الانتهاء من الإبحار في سياحة فكرية عقلية ، وروحية نفسية ، ودعوية منهجية ، وعبادية تأملية .. جَدَّفتُ فيها قاربي بمحيط زخّار بصحبة كتاب " **كلمات** " لأستاذنا عصام العطار حفظه الله وعافاه ورعاه وسدد على طريق الدعوة إلى الله خطاه .

ألفيت نفسي في خضمِّ يمٍّ حاشدٍ بألوان كثيرة من جُزر ميّادة فَيْنانة ، ميّاسة أخاذة ، رائعة الجمال والكمال ، من توجيهات ثرَّة

جليلة ، مؤيدة بتجارب أثيلة ، رعاها عمل موصول ، وحفظها لولد مصون يربو عن الخمسين عاماً ، وحصّنتها بصيرةٌ نفَّاذة ، ورؤى حصيفة بصحبة صالحين أخيار منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلاً ، وزكّاها إخلاص طهور ، نابع من إيمان ويقين ، وسقتها دموع حَرَّى فجرها من مآقيها محن وويلات ، ودفعتها في مسايلها فواجع وابتلاءات على طول المدى لطريق الدعوة اللاحب اللاهب ، مصداقاً لقوله ﷺ : (حفت الجنة بالمكاره) .

جاءت كلمات الكتاب جَرَّاء دفع ومدافعة ، وجهاد ومصاولة في معارك محتدمة أليمة مع أباطيل خبيثة ، مؤيدة من طواغيت فجارها ، وباعثها ظلم أثيم مغموس في ضلال فراعين أساطينها .. ديدنهم جميعاً محاربة الحق والعدل والحرية والخير والفضيلة والجمال .. وهدفهم قهر الأمة وإذلالها .. وإبادة دينها وعقيدتها وتاريخها ، وطمس ماضيها ، ووأد حاضرها ومستقبلها بشتى الأساليب والوسائل الشيطانية !!

جاءت كلمات الكتاب سامقة الذُّرى ، رفيعة العماد من خلال ملاحم صمود في وجه عدوان غذتها أشلاء وسقتها دموع

ودماء ، عبر بيداء محرقة كانت فيها المطاردات والمؤامرات ، والحصار والملاحقات ، حيث كمن فيها الموت الزؤام خلف كل منعطف ، وتَرصُد صاحب الكلمات وراء كل أكمة .. وهل ينسى الأحرار في كل مكان اغتيال الأخت الجليلة العظيمة " **بنان الطنطاوي** " رحمها الله بأيدي الفجرة الآثمين ، وقد نضبت فيهم كل أخلاق الرجولة والشهامة والمروءة ؟!

من هنا جاءت أهمية هذه الكلمات الميدانية التي عبَّرت عن تمرد عنيد على كل ظلم فاحم ، وواقع مرير جاحم ، وثورة بركانية على أوضاع ظالمة ، وعلى كل مستبد طاغية .. وكانت تحدياً مستعلياً على كل رَغَبٍ ورَهَبٍ ، عبر أزمان متغايرة ، وأمكنة متباينة غرباً وشرقاً وشمالاً وجنوباً .

جاءت كلمات الكتاب :

◆ رسائل مكتنزة بالتوجيهات السديدة التي وضعت الدواء على الداء ، وباللمحات الأريبة النجيبة التي بصَّرت بالطريق المستقيمة على بصيرة .

◆ رسائل مكثفة بالأدبيات الرفيعة ، والبلاغة البيانية الشامخة ، عبر الكلمة المؤمنة الطيبة اللبيبة الحكيمة نثراً

وشعراً .

◆ رسائل بليغة بالفهم الواعي الموضوعي ، بلاغة الإسلام في منهجه العلمي المنظم ، ويسر عقيدته وإعجاز شريعته المحيطة بكل المتطلبات الحياتية ، والشاملة لكل الحاجات الإنسانية .

◆ رسائل ممتلئة بالدارسات الاجتماعية والتربوية والأخلاقية الحصينة التي زانتها التجارب الميدانية ثراءً ورواءً ، وزادتها وعياً وبهاء ..

◆ رسائل مكتظة بالتأملات الفكرية والعقلية والنفسية ، التي مخرت عُباب الفلسفة الحكيمة النفيسة بهدوء وأناة واستخرجت اللآليء الثمينة ! .

◆ رسائل عميقة بالمواقف السياسية وسبر أحداثها ، واستخلاص النتائج من شؤونها المعقدة العريصة على كافة مستوياتها المحلية والإقليمية والعالمية ، والتي لا تستطيع خرق جدرانها وهتك أسوارها إلا الفِراسة المؤمنة الموفقة المسدَّدة من الذي يعلم السر وأخفى !!

◆ رسائل صدق خطَّها قلم ارتشف مداده من قلب أثخنته

الجراح من سهام المطاردين الجلادين الصغار منهم والكبار !!

◆ رسائل أمل - رغم إحباطات الباطل - تُبشر بمستقبل الحق وأهله ، تسعد فيها الإنسانية بالعدل والأمن والأمان ، والحب والحنان في ظلال شريعة الله الخالدة .

◆ رسائل مبشرات - رغم الحصار الكنود - تومىء بإطلالة الحرية التي تكسر قيود العبودية وأغلال الجبروت للطغيان والعدوان ..

◆ رسائل طهر - رغم عهر الاستبداد الزنيم الإقليمي والدولي - تبشر بقدوم فضائل الخير اليانعة ، لتتوارى سوءات الرذائل القميئة التي سربلت بفضائحها جموعاً غفيرة من حكام ومحكومين ، لتنتشلها من مستنقعات الآثام وتعلو بها إلى آفاق النظافة الخُلقية والطهارة الفطرية العفيفة الحصينة .

◆ رسائل عزّ الحق واستعلائه كالصقر المحلق عالياً في أجواز الفضاء ؛ كلما ارتفع رأى الدنيا بشهواتها وزخرفها ، وصولجان أباطيل طواغيتها ، كالحشرات التافهة الحقيرة اللاصقة بالأرض ، الهائمة على وجهها ، المتعثرة في سيرها تتبعها حشرات بمخالب وأنياب أكبر من مخالبها وأنيابها

لتفترسها ، على مبدأ حكم الغاب والناب ؛ أنت اليوم آكل وغداً مأكول !!

بعد هذه المقدمة إليك أيها القارىء الكريم عيّنات من هذا السفر الكريم الذي تجاوزت صفحاته من القطع المتوسط الخمسمائة صفحة ، ولو كان حرف الطباعة أصغر والفراغات بين الكلمات أقصر لجاء الكتاب أقل من ذلك وأيسر تناولاً وأكثر سهولة للمقتني والقاريء .

١- « إذا كانت الكلمة لا تعني موقفاً ، والإيمان لا يعني التزاماً ، فقد بطل مدلول الكلمات ، واستحالت ألفاظنا إلى ضرب من الخداع أو العبث أو
الهذيان » ص ٦٢

أجل لا بد للكلمة أن تكون طيبة : { ... **كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ۞ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا** ... } [إبراهيم : ٢٤-٢٥] .

٢- « أيهما أفضل : أن تركض وراء سراب ولا ماء ، أو أن تَقْعُدَ بلا ماء ولا سراب ؟

أما أنا فقد فجّر الإيمان ألف ينبوع في قلبي ، فلا أحتاج أن

أختار هذا أو ذاك » ص ٤٢٤ .

نعم ! إن الإيمان أعظم الينابيع التي منَّ الله به على عباده القانتين الصادقين.

٣- « إذا لم تعش بعض تجربة الرسول ﷺ ولم تُعان بعض ما عاناه في سبيل الله عزَّ وجلَّ ، فلن تفهم شخصيته فهماً حقيقياً أصيلاً ، ولن تشعر شعوراً واقعياً حياً بمدى سمو خُلقه العظيم » ص ٤١ .

لا شك أن رسول الله ﷺ هو أعظم شخصية بشرية هادية أكرم الله بها الإنسانية جمعاء ، فمن لم يستظل بوارف ظله فلن يتذوق قوله تعالى : { **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** } .

٤- « قد تجد في واقع المسلمين الإيمان والإخلاص ، وقد تجد العلم والوعي والخبرة ، وقد تجد العمل والجهاد والتضحية .. ولكن المهم أن تجتمع هذه الصفات كلها في وحدة عضوية متكاملة ليولد المستقبل الإسلامي المنشود »
ص ٦٦ .

لا مرية في ذلك ، فإن لم يكن الداعية صورة مصغرة عن الهادي البشير فلن تجتمع هذه الصفات وغيرها معها في

شخصيته ، ولن يكون هناك إلا مستقبل مشوه ناقص غامض .

٥- « أن نرفع كلام المخلوق إلى مستوى كلام الخالق في التسليم والتعظيم والطاعة المطلقة ، شرك نبرأ إلى الله منه ، وسُخف نربأ بأنفسنا عن الانحطاط إليه مهما بلغ أصحاب هذا الكلام في أنفسنا ، واستأهلوا عندنا ، من المحبة والثقة والتقدير » ص ١١٣ .

إن الذي نؤكد عليه دائماً أن من كان مع رسول الله ﷺ في كل خطوة وحركة .. فلن يزوغ عن الهدى إلى الضلال ، ولن ينحرف عن التوحيد إلى الشرك ، ولن يميل عن الاستقامة إلى الاعوجاج ، ولن يشط عن المعدلة إلى إفراط أو تفريط ، ولا شك أن التقديس غيرُ المحبة والتقدير .

٦- « إذا غدت المنارة الهادية في البحر أداة خداع وتضليل .. فكيف تهتدي بها السفن المدلجة ، وتنجو بها من الضلال والهلاك ؟! » ص ٩٨ .

وهذا صحيح .. إذا كان الرُّبان والقائد هو الخيانة بعينها ، والمؤامرة بذاتها . فكيف تكتب النجاة لمن يتبعوه من الهمل حذو القُذة بالقُذة ؟! .

٧- « ليست السياسة الذكية الناجحة أن نضحي بالواجب من أجل الممكن ، ولكن أن نجعل الواجب ممكناً .. وشتان شتان بين الأمرين » ص ٣٤٦ .

إنه الفهم الذكي العادل لموضوعات السياسة والتواءاتها في دهاليزها ، فلقد ابتلينا بجملة ما ابتلينا بأطفال السياسة ، يلتفون بها ، في عالمنا العربي والإسلامي حيث ما قادونا إلا إلى الذل والهوان ، والدمار والفناء !! .

٨- « لا يولد الفجر إلا من رحم الليل ، فلا تجحد ليلك المظلم ما في أحشائه من الأمل والخير » ص ٣١٠ .

« تموت أجسامنا الفانية ، ولا تموت أرواحنا الباقية ، ولا آمالنا السامية ، ولا أعمالنا الجديرة بالحياة » ص ٤٨٨ .

إن الأمل والرجاء بالله أكبر من كل يأس أو إحباط ، فلا تستهن بنفسك وبطاقاتك وأنت مع الله عزَّ وجلَّ ، فإن الإيمان واليأس لا يلتقيان في روح لا يموت وهو يتهادى في أفياء الإيمان !! .

٩- « بذرة الإباء والتمرد الصغيرة في قلبك اليوم قد تكون شجرة الحرية والكرامة الوارفة في الغد » ص ٥٠٤ .

نعم ! إن تحرر بلال بن رباح وهو يرسف بالقيود والأغلال هو الذي جعله أبا الأحرار على كر الأزمان والأعصار ، إنهم كبلوا جسده الفاني بالحديد ، ولكن روحه العتيدة كانت طليقة بترنيمة « أحد أحد .. »

١٠- « لا تيأس أن يولد خير في أحضان شر ، فالواحة الندية لا تنبت إلا في قلب الصحراء المحرقة » ص٥٥٢ .

ما أصدق هذا الكلام في محمد ﷺ وفي كل الذين آمنوا ويؤمنون معه إلى يوم الدين .

١١- « ارفعوه ما شاء أو شئتم أن ترفعوه ، ومجدوه ما شاء أو شئتم أن تمجدوه .. فسيقف سلطانه ونفاقكم عند حافة القبر ، ومن ورائه وورائكم من بعده جهنم وبئس المصير » ص ٤٠٧.

آه ثم آه .. يا ليت طواغيت الدنيا وطبولهم من المنافقين الذين هانت عليهم أنفسهم وكرامتهم أن يعلموا أنهم جميعاً في قبضة القدر سواء : يسوقهم بقهر إلى مصير تافهٍ ، وإلى حافة قبر ينتظرهم فيه الدود والعفن !! .

١٢- « ما أبغض النفاق وما أحقره وأظلمه! .. كم زين من باطل ، وقبَّح من حق ، وأغرى بشر وثبّط عن خير .. » ص

٤٤٦ .

الحقيقة أنه ليس هناك جريمة أبشع من جرائم النفاق والمنافقين ، إنهم يقلبون كل حقائق الخير والجمال والحق والعدل .. رأساً على عقب ، لأن قلوبهم قُلّب ، ونفوسهم خُلّب ..

١٣- « .. نعم إن المرأة معززة مكرمة في تعاليم الإسلام ، ولكنها ليست كذلك - غالباً - في واقع المسلمين .

وقد تسمع أحياناً من يحدثك أجمل الحديث عن مكانة المرأة في الإسلام ، وزوجته في بيته ليس لها أي مكانة من الرعاية والتكريم .. » ص ٢٦١ .

لا شك أن هذا هو الفصام النكد بين النظرية والتطبيق ، بين الكلام والسلوك ، بين الأخلاق والقيم .. وإنه تحميل للإسلام أوزاراً هو منها براء ، وهذا ما يدفعنا أن نرفع عقائرنا باستمرار لنقول : إن الإسلام غير المسلمين !! .

١٤- « إذا اعتزلت الناس في ظلماتهم ، ومعك المصباح الهادي في الظلام ، فقد خنت الله ورسوله ، وخنت هؤلاء الناس » ص ٥٤٢ .

نعم وألف نعم .. إنها الخيانة للأمانة بمفهومها الشامل

الكامل ، وإنها لخسة ودناءة وكراهة للخير والعدل والحق والحب والرحمة والنور والهداية ، أن تكون سلبياً تتقوقع في شرنقة الإحباط واليأس .

١٥- « من مكارم الأخلاق أن يعظم عندك خطؤك ، وأن تتجاوز عن خطأ الآخرين ، ومن مساوىء الأخلاق ألا ترى إلا محاسنك وعيوب سواك » ص ١٦٤ .

الحق يقال : أنه ما أعظم ميزان الحق عند أهل الإيمان ، فكل شيء عندهم بمقدار لا يخيسون ولا يبخسون ، طالما أنهم عاشوا في حقٍ لهم وواجب عليهم فلا يجرمنهم شنآن قوم على ألا يعدلوا في كل شيء .

١٦- « إذا كانت قيود الطغاة تنغص الحياة ، فقيود الأهواء والشهوات توبق الإنسان في الحياة وبعد الممات » ص ٣٩٢ .

أجل ما أصدق هذه الكلمة الطيبة عند أولي الأحلام والنهى ، وأولي العزم من الرجال الذين يمسكون بأزمّة الشهوات والأهواء بقبضة من فولاذ الإيمان يجرونها لخدمة الحق والخير .

١٧- « كيف تجف شجرة العمل والجهاد ، وتنقطع عن

النمو والإثمار ، إذا سقاها نبع الإيمان الخالص الثر ، ورعتها الصلة الحميمة المستديمة بالله عزَّ وجلَّ » ص ١٩٤ .

نعم كيف لا تضرب هذه الشجرة بجذورها في الأرض وتسمق بفروعها نحو السماء وهي ترتشف ماءها من النبع الدَّفاق الخالد الذي فجره الخالق العظيم بحكمته وقدرته ؟! .

١٨- وأخيراً يقول أستاذنا - حفظه الله - وقد دلف على عتبة الثمانين أمدّ الله في عمره :

تفنى الحياة ويبقى من كرامتنا ما ليس يُفنيه أسْقام وأعمارُ

كُنَّا مع الفجر أحراراً وقد غربتْ شمسُ الشباب ونحن اليوم أحرارُ

والله ما أعظم الحاجة إلى مثل هذه الروح الذي يُحوّل إكسيرها كل شيء سلبي مميت في حياتنا إلى النقيض ، من الإيجابيات الحية الشامخة السامية التي تستهين بكل ما من شأنه أن يكون مثبطاً أو مُلْهياً أو معوقاً في طريق الرحلة والهجرة إلى الله بروح الإيمان ، وشباب الإيمان ، وعز الإيمان ، وإيمان الإيمان !! .

وعلى ذكر الشعر والشعراء قال أستاذنا العلامة أحمد راتب النفاخ - الذي قال عن العلامة محمود شاكر ، صاحب كتاب ‘‘

أباطيل وأسمار " ، رحمهما الله تعالى : « كان النفاخ تلميذنا ثم أصبح زميلاً لنا ، ثم غدا أستاذنا - : **لو قدر للأستاذ عصام العطار أن يتفرغ للشعر وحده لكان رائد الطبقة الأولى في هذا العصر لا يُشق له غبار** » .

أجل ! ولكن القدر الحكيم أراد لأستاذنا العطار أن يكون رائد جيل ، وقائد دعوة في فترة من الزمن عزَّ فيها الرجال المخلصون ، وعزَّ فيها القادة الرادة المجاهدون .

قارئي العزيز هذه عينات من كلمات الكتاب الفخم ، فإنني لا أستطيع أن أنقل لك أكثر من ذلك ، وإن كانت كل كلماته تُنقل ، ولكن حسبي أن أشير ببناني فأقول : **الكتاب بين يديك فاقرأ ، وادرس ، وتدبر ، فإن فيه الكلمات المنيرة عن الدعوة والداعية في الرحلة إلى الله على بصيرة** !! والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .